ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

(المهابهاراتا) ملحمة الهند الكبرى مقاربة نقدية واصفة

الأستاذة: هدى ملاحي
جامعة الجزائر 2

ديباجة أوّلية

أحاول في هذه الدراسة الولوج إلى عالم السرد الملحمي ، من خلال الملحمة الهندية الشهيرة، الموسومة بالمهابهاراتا(ملحمة الهند الكبرى)، التي شغلت بال الكثيرين من دارسي الأدب...

أشير منذ البدء إلى ان الدافع الذي ولّد في نفسي رغبة التعرّف أكثر على الثّقافة الهنديّة، نابع من قناعة نقدية ترسّخت في ذهني، و هو أنّه من الضّروري للثّقافة العربيّة المعاصرة أن تنفتح على الثقافات المختلفة الأخرى، ومنها التراث الهندي بشكل عام والثّقافة الهندية الجديدة بشكل خاص ... على ان يمتد هذا التواصل الى مختلف النماذج الفنية الإبداعية بما في ذلك المسرح والقصة والرواية و الشّعر ....

أعتمد في مقاربة أهم ما جاء في ملحمة الهند الكبرى :(المهابهاراتا) ، على الترجمة العربية للكاتب السوري عبد الإله الملاح. الذي قدّمها في كتاب بعنوان : "المهابهاراتا ملحمة الهند الكبرى" . بعد أن أفاد في عمله من نص ب.لال(نيودلهي 1989) بالإنجليزية مرشدا أو دليلا كما أفاد من روايات "راجاغوبالاتشاري" (بومباي 1950) و كملا سوبرامنيام (بومباي 1965) و رك ناريان (نيودلهي 1987) و طبعة ب سي روي الموسّعة في اثني عشر مجلدا (كالكوتا بلا تاريخ)، كما أفاد من عرض كتاب ليفيديت و أنادكومار سوامي للمهابهاراتا و كتاب البهغفات غينا (لندن 1975).

قراءة في أوراق : المهابهاراتا (ملحمة الهند الكبرى)

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الحضارة الهندية من أقدم حضارات آسيا ، و أغناها و أثراها ثقافة ، و أكثرها تنوعا، " و ذلك يرجع لاتساع ربوعها و كثافة سكانها، فتعددت الثقافات والديانات والمعتقدات والأعراق فيها."[(1)]

والمهابهاراتا ملحمة' 'سنسكريتية"* تنقل إلينا قصة الأمراء المحاربين الذين عرفوا في التاريخ الهندي " بالكورافا " و "الباندافا'، و هما من الأسر التي حكمت شرق الهند أمدا طويلا و هي العشيرة الملكية (كووس) أو (كورا). وقد ظهرت المهابهاراتا في القسم الغربي من شمال الهند ، وهو القسم الذي يقع بين التخوم الشرقية للبنجاب ومدينة (الله آباد) الحالية.([2])

يرجع تأليف هذه الملحمة إلى حوالي ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، حيث يعود تاريخ طبقاتها الأولى إلى المرحلة القيدية المتأخرة ، و غالبا فإنها اتخذت شكلها النهائي في المرحلة الغوبتية أي في القرن الرابع الميلادي.

زيادة على ذلك تعد المهابهاراتا من أطول الملاحم، اذ يبلغ حجمها عشرة أضعاف حجم الإلياذة و الأوديسة مجتمعتين، و تقريبا يبلغ حجمها خمسة أضعاف الكوميديا الإلهية، و أربعة أضعاف (الرمايانا)، و تكاد تبلغ ضعف حجم (الشاهنامة)."[(3)]

والرأي السائد أنه لا توجد ملحمة أطول منها باستثناء الملحمة (التبتية) وملحمة (جيسار)، و الملحمة القرغيزية: ملحمة (ماناس). وتنتمي المهابهاراتا إلى "جنس الأدب الشعبي المعروف ب (البورانا "Purana"، و الذي يضم قصص التراث القديم بما فيه من حكي عن سير الأسلاف و تواريخ سلالات و أمجاد طبقة الأشراف المحاربين.

---

[1] (حسن عبد الغفار، أشهر الملاحم الهندية، الرمايانا و المهابهاراتا، ط1، دار المشارق، ص09.

* تحظى السنسكريتية بأهمية بالغة في الهندوسية على اعتبار أنها لغة لكتابات مقدسة.

[2] (أحمد أبو زيد الملاحم كتاريخ وثقافة: مثال من الهند الرميانا، مجلة عالم. الفكر، العدد الأول المجلد 16 يونيو 1985 ص19.

[3] (عبد الإله الملاح، المهابهاراتا/ ملحمة الهند الكبرى .دار ورد للنشر و التوزيع .2002

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

في سياق هذا المنظور أدرج الباحث كتكار المهاربهاراتا و الرامايانا و مجموع مؤلفات (البورنا) تحت مسمى عام أطلق عليه أدب "السوتا" نسبة إلى طبقة "Sauta" التي كانت تعيش في بلاطات الملوك و الحكام، و إليها يعزى تأليف و انتشار و حفظ متن مهم من النصوص النثرية و الشعرية و الغنائية التي تمثل الأدب الدنيوي السنسكريتي، و ذلك مقابل الأدب الديني الذي يشمل أناشيد مدائح الآلهة و أشعار (ريج فيدا) المقدسة و أوصاف الشعائر و الطقوس الدينية."[1]

زيادة على هذا يقال أنه توجد اليوم ألف و ثلاثمائة مسودة للمهابهاراتا، تختلف عن بعضها البعض اختلافا شديدا، و كلها تنظر إلى الملحمة في شكلها الجديد، "و تحتوي على أربعة و تسعين ألف شطر شعري ، و قطع نثرية طويلة ، و مليون و ثمانمائة كلمة فيها تقريبا ، و قيل ألف بين الشعر و الأعراف و الحكم و الأمثال"([2])، و حسب أحمد أبو زيد فهي ملحمة تصل إلى أكثر من ألف دوبيت (بيت) في اللغة السنسكريتية ([3]) ، و تشتمل على السياسة و المعتقدات و فنون الحرب ، و قصص الحب و مراسيم الزواج و الوفاء و الإخلاص، وهي بذلك تعد تراثا شعبيا لأمة حفظت كيانها عبر آلاف السنين، كما أنها كنز من الحكايات و الأساطير.

وعموما تعتبر المهابهاراتا صدى يحمل حكمة السنين التي يجد فيها القارئ نسيجا من العلاقات الإنسانية بين الحاكم و المحكوم ، بين القوي و الضعيف، بين الصالح و الطالح ، بين الخير و الشر.. و ذلك الصراع الأبدي منذ أن خلق الله تعالى الإنسان لتعمير الأرض و جعله سّنة من سنن الحياة ليتدافع الخلق ،و يسعى إلى التطور و الإعمار. كما ترمز للمثلث الحضاري الذي تمرّ به كل

الرخاء و المجد

([1]) عبد القادر الجموسي، طريق الخلاص في عصر الفوضى الشاملة، عرب أون لاين (5-2-2008).

([2]) الأساطير الهندية، ترجمة وإعداد محمد شاهين ط1 دار المشارق ص55.

([3]) أحمد أبو زيد، الملاحم تاريخ وثقافة، مثال من الهند الرمايانا مجلة عالم الفكر.العدد الأول.مج16/1985.ص.20

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

حضارة.على هذا النحو:

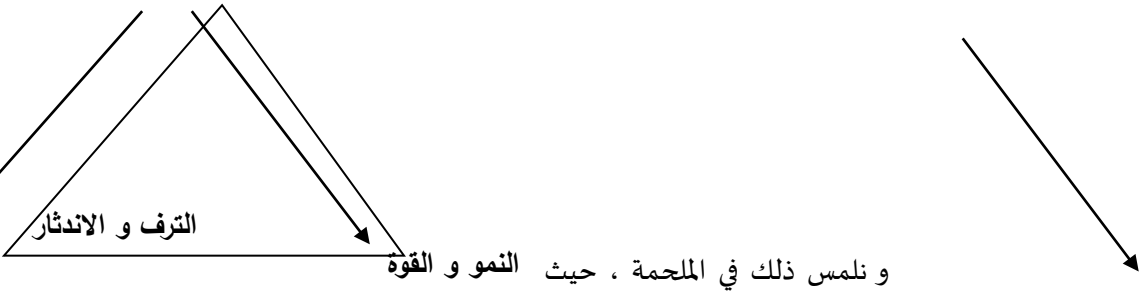

و نلمس ذلك في الملحمة ، حيث نجدها تبدأ بالمرح و السعادة و الجمال ثم رويدا رويدا تصبح مأساة مريرة و حزنا و هما و شجونا ، و بذلك تذهب بنا الملحمة إلى منحى آخر، و هو أنه ليس هناك كمال على الأرض.

جاءت المهابهاراتا في ثمانية عشر فصلا أو سفر كما ترجمها عبد الإله الملاح ، ويعرف كل سفر باسم معين:

- **السفر الأول:** البداية
- **السفر الثاني:** الاجتماع
- **السفر الثالث:** الغابة
- **السفر الرابع:** ملكة فيراتا
- **السفر الخامس:** الاستعداد للحرب
- **السفر السادس:**بهشيما
- **السفر السابع:**درونا
- **السفر الثامن:** كارنا
- **السفر التاسع:**شاليا
- **السفر العاشر:** ليلة الليلاء
- **السفر الحادي عشر:** النّساء
- **السّفر الثاني عشر:** العزاء
- **السّفر الثالث عشر:** النّصيحة الأخيرة
- **السّفر الرّابع عشر:** قربان الحصان
- **السّفر الخامس عشر:**الأشرما
- **السّفر السّادس عشر:** حصاد الأرواح

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

- **السّفر السّابع عشر:** الصّعود
- **السّفر الثامن عشر:** السّماء

وتروى المجموعة الأولى (الأسفار الأربعة الأولى) والمتمثلة في البداية ؛الاجتماع الغابة؛ مملكة فيراتا؛ أصول و بواعث الحرب الكبرى بين آل باندو ، وأهل قروش أي بين الإخوة الخمسة الأبطال وحلفائهم ضد أبناء عمومتهم بينما تشتمل المجموعة الثانية الأسفار من الخامس حتى الحادي عشر (الاستعداد للحرب،بهشيما، درونا، كارنا، شاليا، ليلة الليلاء، النّساء) . وتصف المعركة الهائلة التي جرت بسهل كورو كيشترا، أما المجموعة الثالثة فتضم الأسفار من الثاني عشر إلى الثامن عشر ، والتي تروي عواقب المعركة ومصائر المتحاربين و هو ما نتبيّنه من خلال التعرّف على اهم أحداث الملحمة وما يقدمه لنا ملخصها الدقيق .

تبدأ الملحمة بكلمة أوم، وهي الكلمة المقدّسة عند الهندوس في كافة الأدعية و التراتيل و الطقوس، و لها تفسيرات كثيرة إحداها أنها تعني الثالوث في الديانة الهندوسية، حسب (أ. فيشنو و شيفا "م" برهما)، كما تعني حالات الوعي، الحلم، النوم العميق، السكون العميق، وعند النيرفانا تعني الكشف الروحي – العقلي"[(1)]

تركت الملحمة صدى واسعا على المستوى الثقافي و الإنساني العالمي، و أجريت عليها دراسات عدة و من أبرز ما قيل فيها : ما قاله المفكر إدوارد سعيد: "إنها المهابهاراتا لم يفهمها أحد أكثر من المسرحي البريطاني بيتر بروك الذي اقتحم غاية النص بحجمها الكثيف كاشفا متاهات مسالكها."[(2)]

تركت المهابهاراتا أثرا كبيرا في السنيما الهندية، ففي 1971 استوحت السينما الهندية من مآثر المهابهاراتا الكثير من الأفلام ضمن ذلك فيلم :" شرى كريشنا ليلا" إخراج "صومي آديا" و بطولة " بريتام آرغون".والمُنتَج عام 1971

ان "فيلم شرى رام فانفاس" في سنة 1977 و هو من إخراج "كامالكارا،" يستعيد صراعات الملحمة، و في 1989 ظهر فيلم روائي طويل تحت اسم "ماهابهاراتا" من بطولة "روبرت لويدانجتون" و "بروس مايرس"، و في السنوات

) محمد بابا، المهابهاراتا، معارك الأرض و أغنيات السماء، عرب أون لاين، 2013/04/26[1] (
) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص 344.[2] (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

القليلة الماضية لم تهمل بوليود هذه الملحمة، ففي عام 2000 ظهر فيلم الرسوم المتحركة "باندافاس" الروائي الطويل والثلاثي الأبعاد ليعيد رسم الأسطورة التاريخية".[1]

عرفت هذه الملحمة طريقها إلى المسرح من خلال مسرحية "مهابهاراتا" في 1970 و هي من أهم المسرحيات الحديثة ، من خلال المسرحي و المخرج البريطاني بيتر بوروك بالميثوبولوجيا الهندية، الذي استغل النص الملحمي بالتعاون مع الكاتب الفرنسي جان كلود كاربير.

و اهتم التلفزيون بالملحمة في سنة 1985 بحيث استكمل بيتر بروك العرض المسرحي بسلسلة تلفزيونية عن الملحمة و كانت من إخراجه.

لم ينحصر تأثير هذه الملحمة على الهند فحسب، بل " امتد ليشمل و يتخطى حدودها على اتساعها، فوصلت إلى بلدان كثيرة في آسيا ، فتعددت الشخصيات و اختلفت المسميات و اصطبغت الأحداث بصيغة أهالي هذه البلدان ، و لكنها احتفظت بالتسيمة الأساسية، ضاقت و اتّسعت ، طالت أم قصرت ، بمدى استيعاب و قبول السكان المحليين"[2] ، و هذا ما يشير إليه عبد الإله الملاح في مقدمته بقوله :" و لكن المؤكد أن بعض ما حوته الملحمة من الحكايا قد وجد طريقه إلى العربية عن طريق ابن المقفع و كتابه " كليلة و دمنة" . أما أعمال ابن النديم المشار إليها في الفهرست، فليس دليلا يركن إليه في الاستنتاج بجهل العرب بها."[3]

توجد رواية تقول بوجود قصة مشابهة لها في الإنجيل ، و ما يدل على وصولها إلى العرب أيضا ، هو اهتمام الدراسات العربية بها، و من الدراسات الدالة على ذلك، الدراسات التي صدرت عن الملحمة والتي تُرجمت تحت عنوان : المهابهاراتا

---

[1]) أنظر محمد بابا، المهابهاراتا، معارك الأرض و أغنيات السماء. عرب أون لاين (2013/04/26

[2]) حسن عبد الغفار، أشهر الملاحم الهندية، الرمايانا و المهابهاراتا، ص90.

[3]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص11. (3)-(4) : انظر المرجع نفسه الصفحة نفسها

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

عن الملحمة الهندية القديمة سنة 1996 لجان كلود كاريير و بيتر بروك الصادرة عن وزارة الثقافة السورية، وجاء ت في كتاب ضم 230 صفحة.(3)

في سنة 2002 ، و ضمن البحوث العربية أيضا جاء كتاب المهابهاراتا ملحمة الهند الكبرى الذي ترجمة و حققه عبد الإله الملاح عن دار ورد للنشر، و ظهرت هذه الطبعة في 380 صفحة من الحجم المتوسط.(4)

عنوان الملحمة:

ارتأيت قبل الدخول إلى عالم هذه الملحمة ، و تقديم تلخيص لها أن أنطلق من عنوانها على اعتبار أنه مفتاح لمعالمها الرئيسية.

المهابهاراتا، و هذا هو العنوان الفرعي الملازم لها " ملحمة الهند الكبرى"، "فالمهابهاراتا" في الأصل مكونة من "مها" و "بهاراتا".

"مها" التي تعني في السنسكريتية "كبير"، عظيم" أما "بهاراتا" كان زعيم إحدى القبائل الآرية التي استطونت شمال غرب الهند، و لذلك نجد انه في المنظور الميثولوجي يقصد بالباهاراتا مجموعة من القبائل المنتظمة في ممالك، و ينسب أمراؤها إلى أصل مشترك واحد هو "بهرتا" سليل بورو أحد ملوك السلالة القمرية".[1]

و عليه نستطيع القول أن المهابهاراتا تعني "البهاراتا"، كبرى مآثر أبناء "بهرتا"، أو "حكاية سلالة بهاراتا، و وفقا للمهابهاراتا نفسه فقد جاءت من "نص أقصر" اسمه بهارتا يتكون من أربعة و عشرين ألف سطر شعري".[2]ويقول عبد الإله الملاح في تقديمه للملحة المهاراتا أو "فجيا" أي أنشودة النصر. [3]

---

[1] (ينظر، عبد الكبير الشرقاوي، الترجمة و النسق الأدبي، تعريب الشهنامة في الأدب العربي، ص20(من الهامش)

[2] (طلال حرب، أولية النص، نظريات في النقد و القصة و الأسطورة والأدب الشعبي، ط1، ص168 (من الهامش)

[3] (عبد الاله الملاح، المهابهاراتا ص 9.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

و المهابهاراتا واحدة من الملحمتين الكبيرتين المكتوبتين بالسنسكريتية القديمة في الهند القديمة، إلى جانب الرمايانا،[1] و" و تعد المهابهاراتا و الرمايانا في الأدب الهندي المصدرين الأساسيين لمعظم الكتب المقدسة التي ظهرت فيما بعد و التي عالجت كل منها موضوعا محددا".[2]

المفاتيح الأساسية لنص المهابهاراتا ...

المهابهاراتا في الأصل مجموعة من شذرات وقصص مختلفة يرتبط بعضها ببعض بطريقة محكمة ولا يكاد يربط بينها سوى أنها تدور حول ما يمكن اعتباره "نواة ملحمية" لا تشغل سوى جزء ضئيل نسبيا من العمل كله "خوالي الخمس" ولذلك سأحاول في هذا التلخيص أن أتبع المخطط الخماسي التالي:

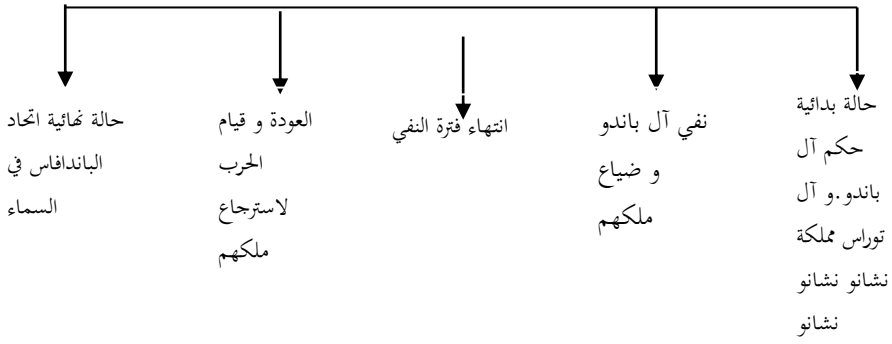

تدور قصة الملحمة حول ذلك الصّراع القديم/الجديد، صراع قوى الخير ضد قوى الشر التي يجسدها على التوالي كل من آل باندافاس و آل كورافاس المنحدرين معا من نفس سلالة الملك بهاراتا "Bharata".

---

[1]) ملحمة هندية قديمة يعتبرها الهندوس كتابا مقدسا، نظمها بالسنسكريتية حوالي 300 ق.م (على الأرجح الشاعر قالميكي. و تتألّف في شكلها الحاضر من سبعة كتب أو أجزاء تنتظم نحو 48000 بيت تروي مغامرات راما و أعماله البطولية (أولية النص، نظرات في النقد و القصة و الأسطورة و الأدب الشعبي، ص168، الهامش)

[2]) ينظر شاكوانتالا راوا شاستري، الباجافادجيتا، الكتاب الهندي المقدس، ترجمة عبد الجليل (جواد، ط1، 1993، سوريا، اللاذقية، ص10.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

ينحدر الكورافاس من "درتيار اشترا" الأب الأول لهم، وكان أعمى و قد حال فقدانه لبصره دون استلامه الحكم و اعتلى الحكم أخوه بادو الذي ينحدر من الباندفاس، تنازل باندو عن العرش في ما بعد ليصبح راهبا متدينا، و تولى دريتاراشتير المملكة بدلا عنه.

و تهب الألهة خمسة أبناء لباندو و سيعرفون بآل باندفاس و هم يوديشيرا "Yodishtra"، المتصف بالحكمة والحصانة ابن إله العدالة دراما Drama و بهيما الجبار ابن اله الروح"Bhima" و أرجونا"Arjuna" ابن إندراIndra كبير الآلهة التوأمان ناكولا"Nokula" و سهديفا "Sahadiva".

أما دريتاراشتر، فسيحظى بمئة طفل كان أولهم دوريودانا الذي سيصبح ممثلا لآل "كورفاس" و تجسيدا لقوى الشر في الأرض لما عرف من غطرسة و كراهية و جشع و رغبة في التدمير.

يموت باندو بسبب لعنة أحد الرهبان البرهمانيين، فيخلفه على العرش أخوه درتيارشترا، الذي سيعيش في كنفه آلباندفاس الخمسة، و تصور لنا الملحمة دريتارشترا كحاكم ضعيف بسبب عاهته، مما جعله يفوض سلطاته السيادية لابنه دوريودانا الذي سيسعى مرات متتالية إلى اغتيال أبناء عمه حتى لا يضطر مقاسمتهم المملكة، و بعد نزاع مرير تم إرسال أبناء العمومية "الباندافاس" إلى المنفى وذلك بعد أن استدرجهم إلى قصر عظيم وقرر إحراقه بمن فيه، لكن آل باندو تفطنوا للمكيدة وفروا عبر نفق إلى نهر "الغانج" على قارب صغير واستقروا في غابة بعد أن ضلوا السير.

تواصل القصيدة وصف مغامراتهم الكثيرة، أثناء فترة النفي و من ضمنها إقامتهم في بلاط الملك دروبدا، و هناك تزوج الإخوة المنفيين ابنة الملك التي كانت تعرف باسم دروبدي، و هناك يظهر كريشنا* المحارب الحكيم ليقدم خدماته كمستشار لآل باندفاس و كسند قوي لصديقه الحميم أرجونا و بإيعاز منه

* كريشنا في الأساطير الهندوسية والهندية عموما و هو التجسيد الثامن للإله فيشنو، وتقول الأساطير أن فيشنو قد تجسد في صورة كريشنا ليحرر العالم من الملك المتجبر.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

سيقبل آل بانفاس عرض دريتاريشترا الهزيل بمنحهم أرضا كمملكة لهم، و ذلك بعد رجوعهم من المنفى، و لكن ذلك لم يحقق سلاما للطّرفين.

لعب يوديشترا الأخ الأكبر لآل باندفاس مع ابن عمه دوريودانا بطلب من هذا الأخير، و بسبب ذلك فقد يودشترا كل شيء بما في ذلك زوجته دروبدي، و مرة أخرى أجبر الباندافاس على الذهاب إلى المنفى و امتدت محنتهم حتى معركة كوروكشترا المبرى التي نشبت بين عامي 850 و 650 ق.م، و يُقال أن المعركة كانت بالقرب من عاصمة الهند حاليا "دلهي" على الأغلب قبل كل أمراء الكاورافاس في هذه المعركة، و بهذا أصبح يودشترا ملكا و اعتمر في حكمه حتى شعر أن قد أتم مهمته في الحياة، و هنا تنازل عن العرش و بدأ رحلة الصعود إلى السماء هو و إخوته "الباندافاس" الآخرون و زوجتهم" دروبدي"، و قد رافقهم في هذه الرحلة كلب كان يمثل معبودهم دارما، و هو إله الواجب و القانون الأخلاقي في الأساطير الهندية، وسار الإخوة الخمسة وزوجهم "دروبدي" قاطعين البحار والبراري والعوالم زهدا وعند الجبل الأسطوري "ميرو" تسقط دروبدي ميتة في سفحه واستمرت الرحلة وأخذوا في السقوط واحدا بعد الآخر" سهديفا"، "ناكولا"، أرجونا بهيما، ولم يبق إلا "يوديشترا" مع الكلب وهكذا انتهوا جميعا إلى بلوغ سماء "إندرا" بأرواحهم عدا "يوديشترا"الذي تعرض لمزيد من امتحانات الخلاص والثبات والرحمة. من ذلك رفضه دخول الجنة دون الكلب وسار الإخوة الخمسة ، وفجأة انتبه الاله "دراما" ، وصعد" يودشترا "بروحه إلى السماوات العلا، ليتعرض لامتحان أشد حيث رأى "دريدونا "في الجنة، أما إخوته ففي الجحيم وهم يستنجدون له ، فاختار البقاء معهم ، لكن ذلك كان امتحانا ثانيا من إندرا ونجح يودشترا في اجتيازه ، وأخيرا وبعد مغامرات عديدة اتّحد" الباندافاس" مرّة أخرى مع زوجتهم" دروبدي".

العناصر التحديدية لجنس الملحمة

أحاول من خلال هذا العنوان أن أثبت ملحمية الملحمة ، إذا صح التعبير و ذلك من خلال استخراج بعض السمات التي تتميز بها الملحمة عن غيرها من الأجناس الأدبية

أولا- البطل (البطولة):

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

البطولة ركن أساسي في ملامح كثيرة، باتت تعرف اليوم بالملاحم البطولية، و البطل في هذه الملاحم محط أنظار قومه. يعرف ويسمى **بالبطل الملحمي**: إذا تعلق بنص ملحمي فهو عادة ما يدافع عن قومه و يدحر أعداءهم " و إذا غاب هذا البطل قلب لهم الأعداء ظهر المحن"[1] والمهابهاراتا ملحمة بطولية تتميز بالعظمة والروعة والجلال والفخامة.

و البطل في المهابهاراتا يمثل جانب الخير و جانب الشر لكنه و في الحالتين يوصف بالجمال و الشجاعة و قوة و ضخامة الجسد على طول الملحمة.

أ- جمال البطل:

عرف البطل بالجمال فكان جميل المنظر و طيب الرائحة، و ممشوق القوام من ذلك مثلا ولادة بطل الباندوفين " بوديستر" ابن الإله دارما، فكان طفلا رائعا، و صرح يوم ولادته صوت من السماء يقول هذا يوديشترا، و لسوف يكون له شأن عظيم في حياته و يعلو مجده و يتلألأ في العوالم الثلاثة و هو الصادق الأمين بين العالمين."[2]

و الأمر نفسه بالنسبة للإخوة الخمسة أي "يوديشترا، بهيما أرجونا، ناكولا، سهديفا"، فهم فتية ليس لهم من يماثلهم وسامة وصحة و قوة في العالم."[3]

و في أواخر الملحمة يعلق بهيما عن سقوط ناكولا قائلا:" قد كان على قدر عظيم من الوسامة و الشجاعة و الإقدام، و كان الرجل عارفا بالدراما، و لم يعرف عنه أنه قد حاد عن هذا الطريق"[4]، كما تخبرنا الملحمة على لسان يوديشترا أن موت "ناكولا" كان سببه غروره بجماله " كان رجلا على ذكاء و عارفا بالدارما

---

[1] ( ) طلال حرب، أولية النص، نظرات في النقد و القصة و الأسطورة و الأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ص183.

[2] ( ) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص45.

[3] ( ) نفسه، ص46.

[4] ( ) عبد الإله الملاح، مرجع سابق، ص301

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

لكنه كان يظن أن ليس هناك من يضاهيه جمالا، و في هذا غرور و انخداع بالظاهر، و لذلك فقد سقط اليوم."[1]

و لعل ما يبرز جمال البطل إعجاب فتاة به من الآلهة أو غيرها مما يجعلها تتمنى الزواج منه في غالب الأحيان، من ذلك مثلا ما حدث مع ملك القوروشبراتيبا الذي "تجلت أمامه إلهة النصر عانجا على هيئة فتاة أبدع الله جمالها، و لكن ذلك الحسن ما كان ليؤثر في براتيمجا، بل استمر في تأمل عميق لا يقطعه انفعال أو إحساس، وعندئذ تقدمت منه غانجا و جلست على فخذه الأيمن، القوي الصلب كجذع شجرة الجوز، عندئذ اهتز براتيبا قليلا و نظر إليها قائلا:" ماذا تبغين، يا فتاة؟" أجابت أبغيك زوجا لي و لا مهرب لك من ذلك"[2]

و البطل (بهيما) تعلقت به عفريتة من الركشا في رحلة النفي، تدعى "هيديمبي" فقد "خلَبَ لُبّها بقامته الفارغة و عرض منكبيه، و قوة ذراعيه،و استقامة عنقه، و جمال عينيه كزهرة اللوتس، فأغرمت به و حدثتها النفس أن تخطب الرجل زوجا لها."[3]

و هو ما حدث كذلك مع أرجونا الذي يدخل جنة إينرا و يقيم بها خمس سنوات يجمع الأسلحة " و في ليلة من الليالي جاءته أورفاشي تخطر في أجمل زي كاشفة عن محاسنها بضة هيفاء مستديرة الأرداف، تشع بالإغراء يسمع رنين خلاخيلها من بعيد، فيطرب له قلب السامع قبل أذنه، طرقت بابه فاستقبلها أحسن استقبال و عرضت عليه مكامن الجمال فأغضى، ومازالت تبذل له فنون الإغراء والغواية فلا تجد منه إلا التجاهل وتكلف الوقار أو التخرج فقالت له" إذا فأنت تعرض عني يا أرجوبا، أنا التي أتيت إليك بأمر من والدك بقدر ما حملني الشوق إلى لقائك فتقابل بذلي بالإهانة اللعنة عليك، فلتمض أيامك و النساء عازفات عنك، و

---

[1]) نفسه، ص301. (

[2])المهابهاراتا، ص23. (

[3]) نفسه، ص66. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

لتكن عنينا، خنثى بلا جنس يميزك هاك غضبي، أيها القط الجلف، لتتذكر هذا اللقاء"[1]

ب- القوة الخارقة:

يتحلى البطل بصفة أخرى و هي القوة الخارقة و ضخامة الجسد، فهو البطل الذي لا يهزم، المنتصر عادة أو الفائز و لو بعد خسارة، و قوته قوة أسطورية تتجاوز قوة الإنسان العادي، و تظهر قوة البطل من خلال وحدات عدة منها:

1. ضخامة الجسد:

تميز الإخوة الخمسة بقوة أجسادهم الأسطورية من ذلك مثلا أن أرجونا بشر به صوت شق عنان السماء بأنه سيكون بقوة الإله شيفا و الأثير عند الإله فيشنو بارعا في استعمال الأسلحة الخارقة".[2]

و الأمر نفسه حدث في ولادة بهيما " فقد قدّر له أن يكون قويا متين البنية، مما جعل صوتا من السماء يعلن أن العالم لن يعرف بمثل قوته و بأسه فتى بعد اليوم"[3]

كما يتميز البطل عادة في المهابهاراتا بقواه الخارقة، بحيث يتصف منذ ولادته بإتقانه لمهنة ما، نذكر على سبيل المثال ما عرف به باندو و ديتراشترو فيدوزا " فكان أن جلى باندو في استعمال القوس و عرف ديتراشترا بقوته الخارقة، أما فيدوز فلم يكن هناك في العوالم الثلاثة من يبلغ شأوى في الحكمة."[4]

2. سلاح البطل:

سلاح البطل في المهابهاراتا خاص غير بشري إلهي مرصود له، فأسلحته "أسلحة ربانية" خاصة بالمحارب البطل، فأرجونا مثلا و هو يعرض براعته و هارته "يطلق سلاحه الناري فإذا بالنار تندلع منه و يمتد مسافة بعيدة، ثم يطلق سلاحه

---

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص138. (

[2]) المصدر نفسه ، ص45. (

[3]) المصدر نفسه ص45. (

[4]) المصدر نفسه، ص37. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

المسمى بالفارونا"[1] " و رأى قوم سلاحا من هذه الترسانة من الأسلحة الخارقة التي تعرف بالأنترداهانا"[2]

و من الأسلحة المستعملة أيضا في الملحمة ما يحصل عليه أرجونا من اندرا في رحلة النفي ، و يظهر جليا في الفقرة التالية: " و رأى القوم الأسلحة التي زوّدهم بها أندرابها، فهدأت نفوسهم و اطمأنت وشاء يوديشتير عندئذ أن يعرض له أرجونا أسلحته، فتناول من العربة ذلك القوس الرهيب الفانديفا الذي أفاض إينرا في وصف قدرته و حمل بيده البوق المصنوع من صدفة سحرية من أصداف البحر".[3]

3. المصارعة:

تظهر هذه "الوحيدة قوة البطل الجسدية"[4] فهو ليس بطلا عاديا فقط بل يمتلك جسدا صلبا يخوله قهر أكبر المصارعين.... من ذلك مثلا ما حدث في مباراة عرض قوة الأبطال في استعمال السلاح، فكان أرجونا في كل هذا يصول و يجول في الساحة، فينتصب سامقا حينا، أو يتخذ شكل القزم حينا، و يراه القوم عالي الهامة، يكاد يخترق الأفق، ثم يرونه جالسا القرفصاء يكاد لا يلحظ كأنما تلاشى في الفراغ، و رآه يطلق الناس خمسة سهام من قوسه برمية واحدة فتتجمع في فك خنزير بري وضعه منظم المباراة .... ثم أذهلهم أن يروى يطلق على قرن ثور تدلى من حبل فيصيبه في تجويفه بعشرين من سهامه، فلا يحيد واحد منها، و هكذا استمر

---

[1]) المصدر نفسه، ص 138.
[2]) المصدر نفسه، ص56.
[3])المهابهاراتا، ص142.
[4]) طلال حرب أولية النص، نظريات في النقد والقصة الأسطورية والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1 ص199.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

يصول و يجول في الحلبة يعرض أمام الحاضرين براعته في استعمال السيف و الرمح و القوس و النشاب"[1]

و الأمر نفسه بالنسبة لكارنا " فقد بدا منتصب القامة مهيبا يطاول برأسه شجر النخيل، أخاذا بوسامته و عينيه السوداوين الواسعتين .... و قرطيه اللامعين، و إذا مشى لاح للجميع كأنما هو صخرة هائلة تتدحرج على الأرض، فلا يكاد من يقوى على اعتراضه و هكذا مضى هذا الصنديد في طريقه بخطوات واثقة."[2]

و في موضع آخر تنازل بهيما ، و دريودانا بحيث صرخت الفيلة و صهلت الجياد، حيث صاح دريودانا صيحته، و همّ بهيما يريد الإطاحة به بضربة من صولجانه، و سرعان ما التقى الاثنان و تشابكا كما تتشابك قرون الثيران ببعضهما في العراك، ثم تصادم الصولجانان في القتال و قَدَحَا نارا من شدة الصدمة. كان العراك شديدا فلم يمض الخصمان في القتال إلا بعض الوقت حتى وجد نفسيهما منهكين، فتوقفا عن الصراع و جلسا يستريحان، و لكن الغضب كان يغلي في قلبيهما، فلم يستطيعا القعود طويلا و سرعان ما نهضا ليتابعا النّزال، و كل منهما يحاول استجماع قوته، ولولا ذلك لما ظهرا أكثر من كتلتين من اللحم تتلاطمان ببعضهما."[3]

4. ضربة البطل:

ضربة البطل في "المهابهاراتا" كغيرها من الملاحم ضربة غير عادية، فالبطل بها يخرق بها الدروع و يقطع الضلوع و يقسم الجنود قسمين من ذلك مثلا ما جاء في "السفر الثامن كارنا" " فقد أشاح كارنا بوجهه عن شاليا، و قال له: " هيا، حث جيادك و أسرع"، وقف أرجونا في عربته يراقب البانتشالا تتقدم زاحفة للهجوم و لكن سرعان ما تصدى لها كارنا فقتل سبعا و سبعين من هؤلاء، ثم رأى

---

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص56.

[2]) نفسه، ص56.

[3]) المصدر نفسه ، ص231،232.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

أرجونا عشر عربات تداهم كارنا فيردها و يقي قوادها المحاربين و استمر مندفعا يخرق بديشترا و انسحب من موقعه".[1]

و ما جاء أيضا في "السفر التاسع شاليا" بحيث اختار بوديشترا إحدى النبال المصنوعة من الذهب و المرصعة بالماس و البراقة كالشمس، و حدق في شاليا بعينين تشعان بالغضب و البأس، ثم أرسلها بقوة عظيمة و حاول شاليا أن يتفاداها، و لكنها كانت أسرع فاخترقت صدره و تدفقت الدماء عندئذ من فمه و أذنيه كالينابيع، ثم خر صريعا على الأرض، أمام يوديشترا، و بدا لمن شهد ذلك أن الأرض قامت لتحية شاليا، الدرة بين الأبطال و يغادرها إلى عالم آخر."[2]

و هو ما حدث في " لحظة خاطفة، بادر دريودانا بهيما بضربة من صولجانه أصابت فخذيه، طار صوابه من هذه الضربة المفاجئة فهجم على عدوه كما ينقض النمر على فيل في البرية، و رد ضربته بضربة مماثلة، كانت ضربة شديدة انهار معها دريودانا و وقع على الأرض، و لكنه سرعن ما تحامل على ركبتيه، ووجه إلى بهيما ضربة أصابت جبهته و شعر بالدم الحار يتدفق منه و بسرعة البرق التقط صولجانه و سدد ضربة قوية إلى دريودانا جعلته يتداعى و يتهاوى على الأرض كما تتهاوى شجرة البلوط حين تنزل بها صاعقة، و سمعت عندئذ صرخات التهليل تعلو من الباندوفيين"[3]

و الأمثلة في الحقيقة كثيرة و متنوعة ف يهذه الملحمة يصعب علينا حصرها

5. الخديعة:

الخديعة و الاحتيال وحدة يلجأ إليها البطل الشرير حتى يظهر و يبرز قوته و براعته و في نفس الوقت يحقق النصر و هو ما فعله "دريودانا" مع أبناء عمومته الخمسة، فحاول أن يتغلب عليهم و يسلبهم مملكتهم بشتى الطرق من ذلك لعبة

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص219.
[2]) نفسه، ص226.
[3]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص226.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

النرد، و هذا ما توضحه الفقرة التالية: " افترثغر شاكوني عن ابتسامة تجيد فيها كل الخبث و قال لمحدثه " إنني أشفق عليك، فلقد خبرتهم في الحيلة فإذا هي تنقلب عليك، لقد سعيت إلى اغتيالهم، فإذا بعميلك هو الضحية، و تذكر أننا غدونا يومئذ أضحوكة، كذلك خبرتهم رجالا شجعانا ذوي بأس و خبرة باستعمال السلاح، لا يا صاحبي، إنك لا قبل لك بمواجهة هؤلاء في المعركة، فإن سألتني المشورة قلت لك إن الأجدى أن نحتال عليهم بضعفهم و أحسب أن لدي خطة للإيقاع بيودشترا، و هو أكبرهم و لا يعصون له أمرا، فصاحبنا هذا ينطوي على ضعف، هو ميله إلى القمار، فإن عرضت عليه منازلتك في النرد وجدته يقبل عليها، و عندئذ سأتدبره أنا، فقد علمتني أجيد التلاعب بالنرد كما لا يجيده أحد في العوالم الثلاثة، فأستطيع التغلب عليه و اجعله يخسر مملكته."[1]

ثانيا- الوضعية التلفظية:

كانت الملحمة تمثل تراثا مرموقا في تلك المجتمعات القديمة، و انتشرت عن طريق الإنشاد و الرواية.

و المهابهاراتا ملحمة سنسكريتية تنسب إلى الحكيم الهندي فياسا(Vyasa) والذي تعزي إليه المهابهارتا مؤلفات أخرى (أسفار الفيدا) ويمثل فياسا في المهابهراتا دور الرواية وكذلك إحدى الشخوص المركزية للقصيدة لكن هناك من الكتاب من يرى أننا لا نعرف شيئا عن مؤلفيها. بل إن الشخص الذي يقال أنه قام بتنقيحها وتنسيقها وتنظيمها، والذي يعتبر من هذه الناحية مؤكدا ويكفي أن نعرف أن اسم هذا المؤلف المزعوم هو فياسا وهي كلمة سنسكريتية معناها المنسق أو المنظم لتدرك أن المؤلف الحقيقي للمهابهاراتا غير معرف.[2] وبهذا المعنى مؤلفها. هو في الغالب شخص اسطوري لا نكاد نعرف عنه شيئا، فهي ملحمة مروية مشافهة، و في هذا الصّدد يقول النص عن نفسه" أنا شوتي الرواية، ابن لومارهاشانا، و قد كنت في طريقي عائدا من جولة قصدت فيها أرض كروكشيترا، حيث دارت تلك المعركة

---

[1]) نفسه، ص106.

[2]) أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ وثقافة، مثال من الهند الرميانا، مجلة عالم الفكر العدد الأول (المجلد 16 أبريل مايو يونيو 1985 ص18.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الرهيبة بين آل باندو ز أبناء عمومتهم آل قوروش، و قد حججت إلى تلك الأرض الطيبة بعدما سمعت رواية ملحمة الحرب على لسان فيسامبيانا يرويها الملك الصالح الواهدجانااميجبا، و لد الملك العظيم باركشيت بعد طقوس السنوات الاثنتي عشرة، بعدما سمعها من فياسا مصنف أسفار الفيدا ذاته."[1]

إن هذه الملحمة عظيمة عرفتها الأقوام بالمهابهاراتا، و هي من العظمة ما جعل نارادا يرويها للديفا، و شوكا يلقنها للغاند يرفا ، و الراكشا، و الياكشا ... اما الناس فقد بلغتهم من كبير حواريي فياسا الذي عرفتموه باسم فيسامبيانا، و إذا شئتم يا أهل الولادتسن ، رويتها لكم كما سمعتها من مسامبيانا في قصر ميجيا لتعم فائدتها الإنسانية"[2]

ُ هذا ما تؤكده الملحمة على لسان فياسا "أعرني سمعك، فلسوف أملي عليك ملحمة تفتق عنها الخيال و رويت فيها قصة أمة الهاراتا"[3]

كما يقول أول مقطع من المهابهاراتا أن غانيشا كتب النص الذي أملاه فياسا بناء على طلب الأخير، يقال أن غانيشا وافق على الكتابة بشرط أن يتوقف فياسا على التذكر و الإملاء ، و وافق فياسا مؤكدا أن غانيشا فهم ما قيل قبل أن يكتبه"[4]

و في الملحمة عدد لا بأس به من الصفات التي يتحلى به الراوي و يسحبها على أبطال الملحمة، فهو مبلغ المعرفة، الحكيم و رجل التجربة و المغامرة.

ثالثا: طبيعة النص الملحمي:

توظف الملحمة " بنية القصة ضمن القصة التي تشيع في العديد من النصوص الهندية الدينية و الدنيوية"[5] أغرب من الخيال بحيث تحكي الأسطورة الهندية المكتوبة في شكل قصيدة تسمى المهابهاراتا« MAHABA HARATA » .

) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص19.[1] (

) نفسه، ص19.[2] (

)نفسه ص 20[3] (

) نفسه ص20.[4] (

) حسن عبد الغفار، أشهر الملاحم الهندية، الرمايانا و المهابهاراتا، ط1، دار مشارق، ص[5](

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

فالمهابهاراتا يغلب عليها الجانب الأسطوري، ملحمة أنتجت خصيصا لتوظف الأسطورة بكل أبعادها، فهي ملحمة انفصلت بالكاد على الأسطورة.

و عليه يمكننا القول أن الملحمة تندرج ضمن النموذج الأسطوري التاريخي'*كما يمكننا أن نلمس هذا الجانب الأسطوري في الملحمة انطلاقا من تتبعنا للعديد من المظاهر التي تظهر جليا في الملحمة .... و المتمثلة على سبيل المثال في الشخصيات الخارقة و الأحداث غير الطبيعية و كذلك الزّمن غير العادي.

أما فيما يخص الأسطورة في الشخصيات فيمكننا تحديدها انطلاقا من تقسيم الشخصيات حسب أحداث الملحمة إلى آلهة و بشر...

1 -شخصيات الآلهة وحركيتها في الخطاب الملحمي:

هي آلهة من الجنسين (ذكر ، أنثى) متحركة على طول الملحمة ترافق الأبطال البشر و تراقب أفعالهم ، تتحكم في مصائرهم و تقاسمهم طقوس حياتهم، تتفاعل معهم في السلم و الحرب، و تقاسمهم حتى مراسيم الزواج لا بل هي جزء منه و كذلك الإنجاب. الذي عادة ما يكون بطريق غريبة، فعلى تعدد وظائفهم تعددت أساطيرهم و أصبح لكل إله أسطورته الخاصة به، و يمكننا توضيحه من خلال المخطط التالي:

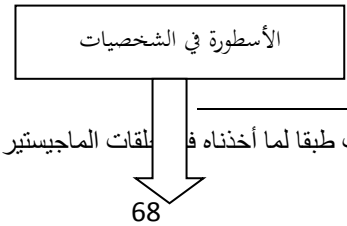

* اتبعت هذا التصنيف طبقا لما أخذناه في ملقات الماجيستير مع الأستاذ الدكتور عبد القادر بوزيدة.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

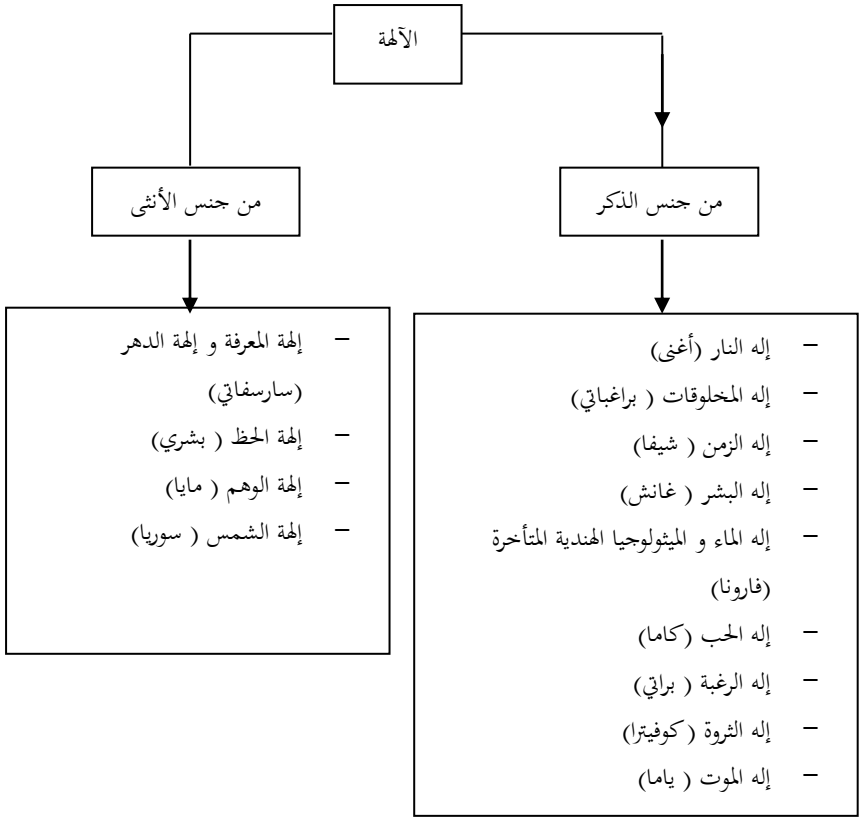

و عليه يساعد هذا الحضور الهائل للآلهة في الملحمة و المستمر فيها و المساير لأحداثها على بروز غلبة عنصر الأسطورة على التاريخ في الملحمة.

1. البشر:

تظهر الأسطورة في الشخصيات البشر من خلال صفاتهم و أجسامهم الضخمة و قواهم الخارقة التي يتميزون بها عن البشر العاديين و الآلهة، فهم يمثلون الطبقة العليا الراقية الحاكمة، مع العلم أنهم يتميزون بالجمال و الدليل على ذلك إعجاب الآلهة من جنس الأنثى بهم....

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

كما تظهر الأسطورة في هذه الشخصيات من خلال طريقة ولادتهم و زواجهم الذي يتم بطرق مخالفة تماما لما هو حاصل عند البشر العاديين، من ذلك مثلا ولادة الحكيم فياسا الذي عرف باسم "دوايبيانان" أي مولود الجزيرة[1]، و قد جرت أحداث هذه القصة في جزيرة واقعة في منتصف نهر يامونا، أين التقى الحكيم الواهد "برتشازا" بـ "ستيفاتي" ابنة كبير الصيادين و هو في طريقه للعتبات المقدسة، و تسرب إلى أنفه السمك الزحمة[2] و تتبع أثرها، و صادف ابنة كبير الصيادين الجميلة، ذات قوم فنان فراودها عن نفسها و امتنعت هي خوفا على عفتها على اعتبار أنها عذراء في كنف أبيها الصياد، و فجأة "رد الشيخ ذراعيه فثار ضباب عظيم لفهما معا، و إذا تلاشى عاد كل إلى حاله و كان أمرا لم يقع، ارتبكت الفتاة و قال الشيخ و قد لاحظ اضطرابها " لا بأس عليك يا فتاة فأنت مازلت على العفة"[3] على الرغم من أن ستيفاني وضعت في ذلك اليوم الطفل المعجزة نطق أول أنه يتخذ الزهد طريقا له في الحياة و غادر طالبا من أمه طلب مساعدته إن احتاجه يوما....

و في الحقيقة هذه القصة تشبه قصة ولادة المسيح عليه السلام مثلما وردت في القرآن الكريم.

و الأمر نفسه بالنسبة لولادة شنتانو الذي ولد من ملك القوروش العجوز و زوجته الملكة العجوزة أيضا، و قد جاء هذا الطفل إلى الحياة رغم الصعوبة التي كانت تعترضهما لكبر سنهما.

و هي أيضا قصة تشبه قصة ولادة يحي بن زكريا عليهما السلام

ضف إلى ذلك كارنا الذي جاء نتيجة اتحاد بين كونتي و إلهة الشمس والذي احتفظت به بعد أن رمت ثمانية من أطفالها في النهر، و كان ثمن احتفاظها به سببا في انفصالها عن الزوج و قد ولد كارنا من أذن أمه، و كان طفلا غريبا، و قد بقيت عذراء هي أيضا بعد ولادته.

---

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص23. (

[2]) نفسه، ص21. (

[3]) نفسه، ص21. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

قد أنجبت قندهاري من زوجها الأعمى" ديتراشترا" البارع في استعمال القوس، خلال شهر واحد مائة ولد و طفلة أكبرهم "دريودانا" و قد ولد و هو " يزعق و يصدر أصواتا أثارت الرعب من حوله".[1]

و ولد "يوديشترا" نتيجة تزاوج كونتي مع الإله دراما...الخ

و الأمر نفسه كان في ولادة سهديفا و ناكولا التي كانت من خلال اتحاد بين "مدرى" و الإلهين التوأم " الأشفين" و الأمثلة كثيرة متنوعة و متعددة، و الأسطورة حتى في طقوس الزواج مثل زواج الإخوة الخمسة من زوجة واحدة "دروبدى".

و هذا أيضا ما ساهم في إضفاء عنصر الأسطورة في الملحمة، فمن غير المعقول أن تنجب المرأة من أذنها، أو أن تلد الزوجة و تبقى عذراء كما هو غريب وصعب أن تلد المرأة و هي في سن حرجة ... فقد تم التناسل و الارتباط في كل الملحمة بطريقة غريبةغير معهودة.

كما تظهر الأسطورة في أحداث غير طبيعية من ذلك مثلا في مدة الحرب " استمرت تلك المباراة ثلاثة عشر يوما من أيام ذلك الشهر الذي يصادف أول الخريف و ظل الخصمان في قتالهما يوما بعد يوم لا ينال منهما كلل أو ملل"[2]

وفي موضع آخر و بعد انتصار بهيما يطلق صوتا يسمع في كل أنحاء البلاد " أطلق بهيما صوتا كالرعد يعلن انتصاره و سرعان ما انتشر الخبر في طول البلاد و عرضها فذعر الناس أشد الذعر و كم من امرأة حامل أجهضت عندما بلغها النبأ".[3]

3- الأسطورة في الزمن:

و مما يؤكّد طغيان عنصر الأسطورة على الملحمة و انضمامها إلى النموذج الأسطوري التاريخي الزمن، و تظهر الأسطورة في الزمن حسب ما قاله عبد الإله الملاح في تقديمه للملحمة، " فهو غذن زمن ملحمي اسطوري، مديد مثل جغرافيا بهاراتا فلا يقاس بالوحدات الزمنية المعهودة، و من الساعة و اليوم و الشهر و

---

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص41.

[2]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص100.

[3]) المرجع نفسه، ص100.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

السنة، و إنما يقاس بالأحقاب و مفهومه بيولوجي بدائي عهد البروز (كالبا) الذي تتفتح فيه قوى الكون و يمضي في آلاف الأحقاب، ثم ينتهي إلى عهد الانحطاط (بيرلي) الذي تخمد فيه القوى و تفنى العوالم الثلاث: الأرض و الماء و السماء.

و قد قسّمت الملحمة عهد كالبا إلى أربعة عصور فرعية اويوكا، كريتايوكا، عصر الكمال و البراءة تحكمه طبقة واحدة بلا تقسيم للعمل أو الجنس و عمر الفرد فيه أربعة آلاف سنة، و رمزه اللون الأبيض، و العصر الثاني يسمى الترتياكايوكا او العصر الثلاثي، لأن ثلاثة أرباعه خير و ربعه شر، و يمتد مليونا و مائتين و ستة و تسعين ألف سنة، و يبلغ متوسط عمر الإنسان فيه ثلاثة آلاف سنة، و التناسل فيه باللمس، و هدفه المعرفة و رمزه الأحمر.

و العصر الثالث هو "دفابارالوكا" عصر المهابهاراتا و يستمر ثمانمائة و أربعة و ستين الف عام، و يمتد العمر فيه ألف عام، و التوالد هنا بالزواج و التلقيح، و يتساوى فيه الخير و الشر و رمزه الأصفر، فالكي يوكا، عصر الظلام ، و رمزه الأسود، عصرنا الحالي، و هو العصر الذي يغلب فيه الشر و يحل الدمار بالعالم لفساده، ثم يكون صلاحه و يبدأ يوم (17-18) من العام 3102 قبل الميلاد، أما الكالبايوكا فيبلغ امتداده أربعة آلاف يوكا و يعادل يوما واحدا من أيام برهما."[1]

رغم هذا فالملحمة كقصيدة تتضمن التاريخ تتحدث ملحمة المهابهاراتا عن حرب تاريخية أخذت أبعادا كونية فالحرب في المهابهاراتا هي النواة المركزية التي تدور لها كل الأحداث والقصص الأخرى، و هي حرب تاريخية "قامت فعلا بين شعبين من شعوب الهند" آل كورو و آل بانشالا(Kurus)(Banchalas) اشترك فيها محاربون وأبطال من الفريقين أي أنها حرب بين البشر[2] ، و يرجع الباحثون هذه الحرب التي يشكل النواة الملحمية للقصيدة قد حدثت فعلا على أرض كورو-كيشترى في الفترة الممتدة بين 1000 و 1400 قبل الميلاد، و في هذا الصّدد يقول خوان ماسكارو: " ليس من شك أن الحرب الموصوفة في المهابهاراتا ليست رمزية و من المرجح أنها

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص (12-13).

[2]) أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ وثقافة، مثال من الهند الرميانا، مجلة عالم الفكر، العدد الأول (المجلد 16 أبريل مايو يونيو 1985 ص19.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

تستند إلى وقائع تاريخية بهذا المعنى، فالقصيدة تحكي عبر ذاكرة الأجيال المتعاقبة قصة حرب ضروس الحاكمة في وقت كان فيه (Kshatrya) حدثت في ماض غابر أبطالها محاربون أشداء من طبقة شاترية، و لعل الملحمة جاءت بداية لتؤرخ لمرحلة التحول التي اتسمت بتدهور نظم و قيم و طبقة شتريا، و قوة الصراع القائم في الملحمة دلالة على ذلك...، وروكشرى: هو ميدان قديم لتقديم الأضاحي شمال دلهي الحالية في ولاية هرينا (Haryna).

الأبعاد الوظيفية لملحمة المهابهاراتا (وظيفة الملحمة):

تكشف المهابهاراتا عن بعض القيم و العادات و التقاليد، و تظهر ثقافة شعب عاش فترة تاريخية بعينها و هو ما يقوله نص الملحمة على لسان برهما " أي برهما! لقد اكتملت عندي قصيدة ما انقطعت تلحّ علي، و تعرض ما كان من أمر الماضي، و تبسط ما يجري في زماننا، وترسم ما سوف يكون المستقبل، بداية تحكي ما يعصف بالبشرية من الانحطاط، و التفسخ و الموت و تصور الوباء، و الرعب كذلك و صفت فيها مراتب المجتمع الأربع و ذكرت للزهاد أصول رياضة النفس، و حددت أبعاد الكواكب والنجوم، و قد جهدت أن تحتوي تلخيصا لأسفار الفيدا و شروحا للفلسفات ، و تعدادا للجبال، و الأنهار و المحيطات، و وصفا للمناسك و المدن الساحرة، و ما احتوت الدنيا من العروق و اللغات على اختلافها، و إنك لواجد فيها أصول فن الحرب و تدريبا على قواعد السلوك و الحكم و السلطات، و قد أردت أن تكون هذه القصيدة مستودعا لكل المعارف و العلوم، و سجلاّ للأحداث"[1]

و عليه تعبر الملحمة عن الصّراع بين الخير و الشر، تلك السنة الإلهية التي صاحبت الإنسان منذ أن خلق.

كما تعرج بنا الملحمة إلى منحى آخر و هو انه ليس هناك كمال على الأرض فلا فضيلة مطلقة و لا شر تام، و لا قوة خالدة.

ولعل الوظيفة الأساسية للملحمة –المهابهاراتا- تتعلق بالواجب الأخلاقي و السلوك الأمثل من وجهة النظر الهندية، و قد أتاح الصراع الطويل و المعقد الذي

[1])عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص21. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

مزق أسرة بهاراتا الملكية الفرصة لبيان الواجبات و السلوك المتوقع للملك ، كما أنها أيضا تبين مثاليات السلوك للرعايا و رهبان الدين و الناس الذين يعانون المحن و الويلات. كما تستخدم المهابهاراتا لتتبع انتشار وتطور الفكر الفشنافي نسبة إلى الاله فشنو معبودا لعابديه عبر ظهوره في صورة كريشتا، الفاصح والصديق للأمير أرجونا. زيادة على ذلك تشكل المهابهاراتا جزءا هاما من الميثيولوجياالهندوسية، و هي جزء هاممن ثقافة شبه القارة الهندية بالإضافة إلى أنها نص رئيسي من نصوص الهندوسية أحداثها محاولة لمناقشة الأهداف الإنسانية.

- أرثا أو الغرض
- كما أو المتعة
- دارما أو الواجب
- موكشا أو التحرر

و هذا ضمن تقليد راسخ يحاول تفسير العلاقة بين الفرد و المجتمع و العالم وطبيعة الذات.

ملاحظة:

تتخلل القصة كثير من الحكايات الأخلاقية والأساطير والطرائف المليئة بالتعاليم الدينية والمبادئ الفلسفية الهندية، كما تشتمل أيضا على مقاطع عن فنون الحكم والحكومة الصالحة وتحتوي المهابهاراتا كذلك على عدد من القصص الشعبية الأخرى بما في ذلك قصة نالا وقصة سافتري وقصة راما وقصة شاكونتالا، وتقدم معركة كوروشترا فرصة لداراسة ونقاش الاستراتيجية العسكرية... على أن أشهر الإضافات إلى المهابهاراتا هي البجافادجيتا الموجودة في الكتاب السادس وهي أن أكثر النصوص الهندوسية المقدسة شهرة تحكي البجافادجيتا كيف أن أرجونا الأمير الثالث للباندافا، كانت له شكوك وهو وهواجس عما إذا يتعين عليه محاربة بني عمومته الكاورافاس أولا. وقد قام كرشتا متحدثا باسم سلطة الاله فشنو في اقناعه أن عمله عادل بعد ذلك كانت مهارة أرجونا العسكرية عاملا حاسما لانتصار الباندافنا. وتشكل تعاليم البجافادجيتا جوهر الهندوسية الحديثة.

الخصوصية الأسلوبية لملحمة المهابهاراتا (أسلوب الملحمة)

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

ينبني أسلوب هذه الملحمة كغيرها من الملاحم على التكرار الظاهري الذي يخفي العديد من المعاني ، فعلى الرغم من غياب القافية فيها فإن ايقاعيتها «RYTHMICI » تقوم على أسس أخرى غير ثقافية و هذا على اعتبار أن القافية ليست هي السمة الوحيدة التي تحقق موسيقية و شعرية اللغة أو القصيدة، و إلا فإنّنا نتجاهل في هذا النثر الشعري أو الشعر الحر اللذان يفتقدان إلى القافية.[1]

زيادة على هذا و بالإضافة إلى الوظيفة الإيقاعية للتكرار فانه يلعب دورا هاما في بناء المعنى، فاللفظة أو المقطع المتكرر يتسع و يكبر و يكتسب أبعادا جديدة تستطيع القيام بوظيفة وصفية و تأكيدية.

و عليه فالتكرار علامة مقطعية بارزة في المهابهارانا و لذلك ساحاول فيما يلي استخراج مختلف التكرارات الواردة في النص. من تكرار الأوصاف و العبارات، تكرار المشاهد، و الاستعمال المتكرر للحكم.

تكرار الأوصاف: من ذلك على سبيل المثال :

1 – " و كان أن قبل شنتانو هذا الشرط ، فعقد عليها و عاشا معا في سعادة و هناء ، ثم و في الفقرة الموالية مباشرة" فيما كان الروحان غارقين في سعادتهما منهمكين في هنائهما "[2]

2 – " اجتذبهأريج عطر أخاذ تملكه و سيطر على حواسه " ثم في المقطع الموالي: " أثار الأريج المنبعث من الفتاة و جمالها الأخاذ "[3]

3 –كذلك تكرار في الأوصاف

" الأساطير و الملوك .....أسماء الخاطبين من الأباطرة و الملوك و الأمراء "[4]

4 – تكرار أيضا لـ: " شعره الأصفر كالنحاس المنسدل .."

على طول الملحمة

---

[1])قاسم المقداد ، هندسة المعنى في سرد الاسطوري الملحمي ، ط1،دار السؤال للطباعة و (النشر ، ص 147 .

[2])عبد الإله الملاح المهابهارتا ص 26.(

[3])نفسه ص 26.(

[4])نفسه ص 27 .(

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

تكرار الكلمات (التكرار اللفظي) :

نورد على سبيل المثال التكرار الواضح لـ :

1 –" أي" على طول الملحمة مع أسماء الأبطال عادة و في تقديم النصيحة من ....

أي غانجا

أي يود يشترا

أي بني ، أي ابتى (فذلك من خلال التداول بينهما)

أي ارجونا

أي كريشنا[1]

2 – تكرار واضح أيضا لـ :

" يا" و ذلك مع أسماء الأبطال عادة . مثل " يا ارجونا " لا يبكي ميتا أو حيا .....الروح يا أرجونا خالدة لطيفة "[2]

3- تكرار **" انك "** في توجيه البضائع عادة ، مثل " انك تزن لنفسك الجبن ..... انك لتوصد...."[3]

4- تكرار "الموتى" في الفقرة نفسها ثلاث مرات " قال ديتراشترا ... و في صوته رنة من الحزن، فقد آن الوقت لحرق جثث الموتى من الأصدقاء و الأعداء...ثم، ثم يقول "أن هؤلاء أكلتهم الوحوش هؤلاء الموتى"[4]

5- تكرار لـ "ستقول"

"فماذا ستقول أم بهيما نيوسوبهدرا؟ و ماذا سيقول أهل دفاركالكريشنا"[5]

6- تكرار لـ "تخبرنا"

" و لم تشأ أن تخبرنا أن كارنا كان أخا لنا غير شقيق، و لم تخبرنا بالأمر"[6]

---

[1])عبد الاله الملاح المهابهارتا ص 188 (

[2]) عبد الإله الملاح، مرجع سابق، ص 188. (

[3]) نفسه، ص188. (

[4]) نفسه ، ص 257. (

[5]) نفسه، ص209. (

[6]) نفسه، ص209. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

7- تكرار "قد" و "إذا"

" قد كان الأجدر بنا يا أرجونا، ألا تعود من منفانا، فإذا عدنا أخذنا نتقاتل كما تتناحر الكلاب على عظمة و هاقد انتصرنا ، فإذا بالعظمة بلا مذاق أو طعم"[1]

تكرار أيضا في الفقرة التالية:

" قد نذرت أن أمضي العمر قد أخذت بالرحمة قد أعرضت منذ اللحظة"[2]

8- تكرار أسماء الأبطال كثيرا: و ربما يكون ذلك دلالة على الحضور البارز للشخصيات و القوى في المهابهاراتا و هذا في كل فصل من فصول الملحمة و خاصة في وصف الحروب، من ذلك مثلا: " اضطرب دريودانا لغياب بهشيما اشد اضطراب .....و حدث كمارنا فيما يشغل باله .....فاقترح عليه صاحبه أن يولي درونا ، و وافقه دريودانا على هذا الاقتراح .....جمع دريودانا "

9 – تكرار " أم "

" و طفق يوديشترا بعد ذلك اللقاء يتساءل و يكرر السؤال لمن ..... الأول : اهو للشرعة " دارما ، أم للثروة و النجاح أرثا أم للشهوة كاما "[3]

10 – و في التالية تكرار واضح ل : " من " ، " انه " "...."

" و هناك انحنت كوني جانبا بأبنائها ، و خاطبتهم بصوتها الرقيق قائلة :

ذاك البطل السند.

المقاتل العمد.

.

.

من صرعة أرجونا.

من ظننته أنت ابن رادا.

من قاتلكم.

من زها حين تقدم.

---

[1])نفسه، ص260. (

[2]) نفسه، ص43. (

[3]) المصدر نفسه، ص(207، 208). (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

من كان يصول و يجول.
و من حوله.
من اقبل على المنيه[1]
انه أخوكم الأكبر كارنا.
انه ابني.
انه ابن اله الشمس سوريا.
و كان القه من الق الشمس.[2]

11 – و في الفقرة التالية تكرار لكلمة الحزن ، الدّموع ، الذم ، النار

" دع عنك الحزنيا مولاي قد كان ذلك يوما مضى .....و هل هناك من لا يدرك أن علينا تجنب كل ما يؤدي بنا إلى الندم و الأسف ....."

و ها انتذا ينتابك الندم فما جدوى الحزن؟ إن من يشتهي العسل و يسعى الخلية فوق الشجرة و لا يحسب حساب السقوط حري به أن ينتهي إلى الندم ....و الحكماء ما كانوا ليرضوا عن ادارك اليدموع ، و لا كانت الأسفار لتقرر البكاء فلتكن لدموعك شعلة توقد النارالنار لا تحرق الموتى .....دع عقلك "[3]

12- تكرار فعل الأمر " اعلم " خاصة في تقديم الحكم و النصائح و على سبيل المثال هذا المقطع الذي يقدم فيه الملك الأعمى بعض النصائح لابنه.

" و اعلم يا صاحب الملك أن أركان الملك سبعة .....و اعلم انك تحسن صنعا .....و اعلم أن ثبات الملكفي معرفة الأعداء .....و اعلم أن العجلة .....و اعلم أن المال.....و اعلم أن في رعاية البراهمة و الحكماء .....و اعلم أن أعظم الملوك."[4]

13 – حذار

" فحذار من استعجال الحرب .....فحذار حذار أن تقع في مثالب الملوك الأربعة"[5]

---

[1]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص257،258. (
[2]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص257، 258. (
[3]) نفسه، ص250. (
[4]) نفسه، ص(93،94). (
[5]) نفسه، ص68. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

14 – تكرار حرف الواو كثيرا من ذلك مثلا :

" و اعلم أن كل ما تجنيه .....و الصاعد و الاتحاد و الحياة "

15 – و في المقطع الموالي لـ " على " و حرف " الواو " و " الموشاة "

" و هناك بين الأشجار الغابات.

و على الهضاب الموشاة بألف لون و لون.

و على سطح البحيرات الموشاة بأزهار اللوتس والأقحوان.

و على ضفاف جدول عند التلال .....

و على شواطئ البحر ...."[1]

تكرار " في"

في جمع الثروة عناء لا ينقطع

و في حراستها جهد متصل

و في سرقتها تعاسة لا حد لها[2]

تكرار "أنا "

جاء صوت يعرف صاحبه : أنا كارنا

و تلاه صوت : أنا بهيما!

فاخر : أنا ارجونا !

و أنا ناكولا!

و أنا سهديفا!

و أنا ديتراشترا!

و أنا دروبدى!

و نحن أبناء دروبدى!

تكرار العبارات

[1]) عبد الإله الملاح، ص68. (

[2]) المرجع السابق، ص274. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

1)- فينا لون من يودسترا كل التكريم و يرددون عليه بعبارات العزاء " (نهاية الفقرة) ثم يقول في بداية الفقرة الموالية " مهما كان يبلغه من عبارات العزاء "[1]

2)- و قال انه سعيد بهذه اللحظة التي ترحل فيها الشمس إلى مستقرها ....انه سعيد لانقضاء هذه الأيام الخمسة و الثمانين ..."[2]

3)- تكرار من خلال مفارقة

" العطاء القليل يأتي بالسعادة ، و العطاء الكثير يأتي بالفرح الأعظم "[3]

4)- إذن فاني محدثك عن الواجب ، إن واجب الملك الأب فقد رباطة جأشه.

5) –تكرار عبارة " إن واجب الملك " في الفقرة التالية:

" إذن فاني محدثك عند الواجب ، إن واجب الملك الأبفقد رباطة جأشه .....ثم إن واجب الملك أن ينشد الحقيقة و يختص لها ، ذلك هو واجبه الأسمى "[4]

- تكرار عبارة: " و رياضة النفس باليوغا، في الفقرة التالية

" و ليكن طريق الزهد و رياضة النفس باليوغا طريقي منذ الحين، و لتكن مرشدنا في مجاهدة النفس باليوغا ... و بات على نهج المجاهدة و رياضة النفس باليوغا لا ينقطع عنها.."[5]

- تكرار عبارة " فاستسلم للرقاد" في الفقرة التالية " و لكنه وجد النعاس يغلب عليه فاستسلم للرقاد... و شعر بالنعاس يتسلل إلى جفونه فأغمض عينيه و استسلم للرقاد..."[6].

تكرار المشاهد :

---

[1]) نفسه، ص209. (

[2]) نفسه، ص 269 (

[3])المرجع السابق، ص266. (

[4]) نفسه، ص308. (

[5]) عبد الإله الملاح، المهابهاراتا، ص43. (

[6])نفسه، ص49. (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

كما نلمس أيضا في المهابهاراتا العديد من المشاهد المتكررة ، من ذلك مثلا ما يحدث عادة في مشاهد الخطبة و الزواج ، و التي دائما ما تدور أحداثها أمام النهر بحيث يعجب البطل بالفتاة، الجميلة يتقدم لخطبتها ، توافق ثم يتم الزواج ، و هذا ما حدث على سبيل المثال مع شنتانو في زواجه من غانجا.

" و فيما كان يمضي ذات يوم، على ضفة نهر الْفَانجْ صادفته فتاة ذات جمال أخاذ فسحر بما رأى من جمال وجهها و دقة قسماتها و تألق عينيها كزهرة اللوتس .... و وقف يتأمل بها طلعتها .... تقدم منها و خاطبها بلهجة رقيقة ....هلا قبلت بي زوجا، كائنة من تكونين أيتها الحورية الرائعة ؟ ....أني اقبل الزواج بك و العيش إلى جانبك، و لكن لي شرط هو ألا توجه لي كلمة جارحة "[1]

و المشهد نفسه يتكرر في الفقرة التالية في زواج شنتانو من ستيفاتي

" مضت سنوات أربع و الملك شنتانو في اهنأ حال و ابنه إلى جانبه فانقطع للممارسة هواياته المحببة و الاستمتاع بملذات الحياة و فيما كان يتجول ذات يوم في الغابة بالقرب من نهر يامونا اجتذبه أريج عطر أخاذ تملكه و سيطر على حواسه فمضى يقتفي أثره .....و هناك وقع نظره على فتاة ساحرة الجمال ، ذات عينين سوداوين لم ير لهما نظير بين كل من عرف من الفاتنات و لم تكن هذه إلا ستيفاتى.

ابتدرهاسائلا : " من أنت ..... عرض عليها الزواج ....."[2]

و نذكر أيضا، ما حدث عندما طلبت ستيفاتى من أنها فياسا أن يحقق رغبتها في الحصول على حفيد، فكانت معاشرة فياسا لامبيكا و امبيليكيا و الجارية و كأنه مشهد واحد يتكرر بحيث يدخل فياسا على المرأة يعاشرها و هي غير راغبة في ذلك ، ثم يخرج فياسا و يخبر أمه عن حالة الطفل المولود الذي يأتي حسب الحالة التي كانت عليها أمه.

أولا : معاشرة فياسا لأمبيكا:

[1])عبد الاله الملاح ، المهابهاراتا ص 24 (

[2])المرجع السابق ص 26 – 27 (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

" و كان أن استقر الرأي على أن يكون البدء بأمبيكا ، فلما حان الأوان أخذتها ستيفاتى إلى الحمام فاغتسلت و تطيبت ثم اقتادها إلى المهجع و مشت بها حتى جلست على سريرها الفخم و اضطجعت منتظرة دخول فياسا . ولج مخدع المرأة .....فسرت قشعريرة الخوف في جسدها حين رأت منظره الرهيب .....و استولت عليها الرهبة .....فأغمضت عينيها و استسلمت لمصيرها، سلك طريقه إليها في الفراش، ضاجعها و لم تقو على النظر لتشاهد هذا الرجل، سألتهستيفاتي، و كانت قابعة في القاعة تنتظر خروجه، أتراها حملت البذرة لتأتينا بغلام .....أجاب : نعم و لسوف تلد ولدا ذكيا شجاعا مقداما و سينجب مئة ولد ، لكنه سيولد كفيفا لان أمه أغمضت عينيها و أنا أضاجعها." و كان أن وضعت امبيكا طفلا أعمى عرف باسم ديتراشترا "[1]

ثانيا : معاشرة فياسا لامبيليكيا:

" مضى فياسا إلى زوجة أخيه الأخرىامبيليكيا، حسب الخطة المرسومة، ارتاعت المرأة إذ وجدته يدخل عليها،وحيدة و هو على ما كان عليه من قبح الوجه و بشاعة المنظر و كريه الرائحة ، و لكنها ثبتت مع ذلك حتى قضى الأمر، كان الشحوب الذي أصاب امبيليكيا واضحا ..فقال لها حينئذ بصوت النبوءة : لأنك سحبت و فزعت مني ستلدين ولدا اصفر البشرة ، و لسوف يعرف باسم باندو ، الشاحب "[2]

معاشرة فياسا للجارية:

" ... أحلتها في مخدعها تتقبل بدلا عنها مداعبات هذا الكائن الذي جاهدت اشد الجهاد لتتقبله لحظات خالت أنها الدهر كله، نهضت الفتاة من مقعدها حيث كانت حين اقبل عليها فياسا، تأدبا و احتراما ثم جلست بجانبه، كما رسمت لها أمبيكا.....و مرة أخرى نطق فياسا بنبوءة ، و قال لهذه المرأة التي خرجت من أدنى

[1])عبد الإله الملاح ، المهابهاراتا ص 36 (

[2])نفسه ص 36 ، 37 . (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الطبقات ....فلسوف تلدين ابنا يعرف في كل أرجاء الأرض بين اشد من عرفتهم البشرية حكمة و نبلا ."

من المشاهد المتكررة أيضا في الملحمة هي ما يحدث في فترة النفي بحيث تكون المدة 12 سنة إلى الغابة ثم التخفي في السنة الثالثة عشرة فإذا اكتشف أمرهم يعودون للانتفاء اثنتي عشرة سنة أخرى، و في الغابة تحفل السنون الطوال بالمآثر و المغامرات

و في المعارك تبدأ كل مجموعة بكسب الحلفاء الأشداء ثم وضع قواعد الحرب ثم خوض المعركة.

تكرار الحكم :

قارئ هذه الملحمة يجد فيها الكثير من الحكم التي تساهم بطريقة أو بأخرى في تحقيق انسجامها و قوة أسلوبها ، و نذكر على سبيل المثال

1 – " الملعقة لا تستطيع أن تتذوق الطعام الذي تحمله إلى الفم "[1]

2 – " اعلم يا ارجونا ، أن الشهوة هي مصدر الآثام ، و كذلك أمر الغضب ، و هذان هما ألد أعداء الإنسان "[2]

3 – " المعرفة الحقة كامنة في أعماق الإنسان مخفية تحت الشهوة و الغضب اللذين يحجبانها كما يحجب الدخان النار، و كما يشوه الغبار المرأة الصقيلة"[3]

4 – من طرح من قلبه كل الشهوات و الرغبات ، و قد وجدت روحه السكينة في خلوتها مع نفسها ، فلا نبضة يبطئ عند الحزن و لا يرتفع في لحظة الفرح"[4]

خاتمة

انطلاقا ممّا سبق نصل إلى القول أن العودة إلى الملاحم سياحة ذهنية لطيفة و هي كالحلم لا تحده عوائق، أو درب من الخيال لا يقبله عقل، عالم متناسق

---

[1])عبد الإله الملاح ، المهابهاراتا ص 109 (

[2])نفسه ص 191 (

[3])نفسه ص 191 (

[4])نفسه ص 190 . (

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

جميل بديع لا يحويه مكان و لا يضبطه زمان و هو في غالبيته أساطير تمتزج فيها الحقيقة بالخيال و تسيير حسب منطق مبدعها و ثقافته و عقيدته.

و المهابهاراتا كغيرها من الملاحم الخالدة مثل الإلياذة و الأوديسة و أنشودة رولان و الرمايانا و جلجامش، و الأميرة ذات الهمة و الظاهر بيبرس و الشهانامة، و سيف التيجان ...كلها ملاحم تحمل تاريخ أمم و حضارات ذاع صيتها و دام عرشها، و اتسع ملكها قرونا طويلة تعرضت لانتصارات و انكسارات، كتبت بنفس الطريقة و حملت نفس السمات و لو اختلفت مواضيعها، فلا ينكر مثقف أو مطلع أنّ هذه الملاحم أعظم إبداع أدبي وضعه الإنسان، و كانت متنفسا لضغوط الحياة و منهلا لطلاب الأدب و الثقافة و المعرفة.

و المهابهاراتا ملحمة خالدة تحمل رسالة لكل بني البشر على اختلاف المذاهب و العقائد، فلن يتفق عليها اثنان من حيث الحصيلة، فلكل وجهة نظر و قدرة على الاستيعاب و مذاق خاص ، و لكنها في النهاية وجبة دسمة تحتاج إلى الإمعان و التبصر.

مصادر الدراسة و مراجعها:

1- مصدر الدراسة :

1 – عبد الاله الملاح ، المهابهاراتا ، ملحمة الهند الكبرى ، 1991 . دار ورد للنشر والتوزيع 2002.ب . د.ت ط

2- أهم مراجع الدراسة :

- حسن عبد الغفار، أشهر الملاحم الهندية الرمايانا و المهابهاراتا ، ط1 ، 2009 ، دار طيبة للطباعة ، الجيزة.
- الأساطيرالهندية ، محمد شاهين ، ط1، دار المشارق.
- عبد الكريم الشرقاوي ، الترجمة و النسق الأدبي تعريب الشهانامة في الأدب العربي ، ط 1.
- طلال حرب، أولية النص ، نظريات في النقد و القصة و الاسطورة و الأدب الشعبي، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

- شاكوانتالارواشاستري ، الباجافادجيتا ، الكتاب الهندي المقدس ، ترجمة عبد الجليل جواد ، ط 1 ، 1993 ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، اللاذقية، سوريا
- قاسم المقداد، هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، درا السؤال للطباع والنشر ط1.

مواقع الكترونية:

1 – عبد القادر جموسي ، طريق الخلاص في عصر الفوضى الشاملة ، عرب اون لاين (5-02-2008)

2 – محمد بابا ، المهابهاراتا، معارك الأرض و أغنيات السماء ، عرب اونلاين (26-04-2013)